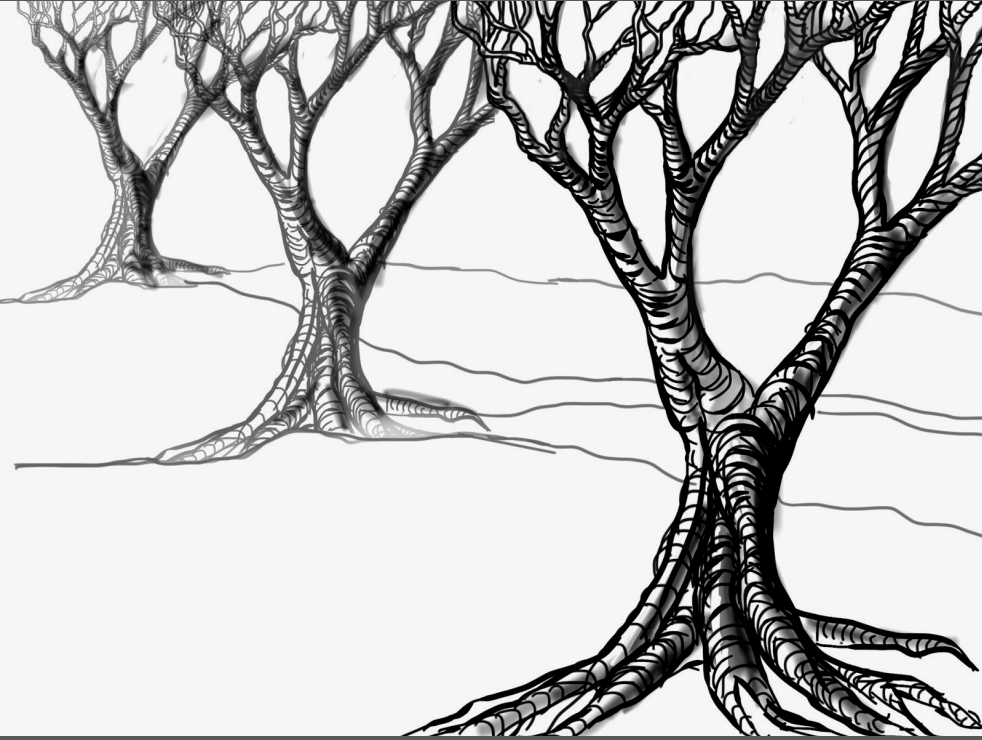




محمد الشلبي

شَجَرٌ لَا ظِلَّ لَهُ



محمد الشلفي

شَجَرٌ لَا ظِلَّ لَهُ

كتب نصوص هذه المجموعة بين القاهرة وصنعاء (2007-2009)

المحتويات

7	ثقوب
15	شجر لا يحدث له ظل
19	الحربُ وبعدُ..
27	قلوب ناقصة
31	فاتحة لفتاة جديدة
37	كلارا
39	نافذة
45	الثالثة
49	شجرة سرو
51	اليوم الرابع
55	الليلة جدي
59	مشبوه
61	الأزرق
63	النجوم لم تغادر الناصية
69	ما لا يدركه الليل

ثقوب

حكااء

السيرُ في البرد مفيدٌ. كما أن الأقدمين كانوا يحبُّون الوقوف في المطر. وكانوا لا يلبسون الكلام كما نفعلُ. وبالقليل يقِدِّرون على رتق ثقوب تطرأ.

الذهابُ إلى العرَّافة يجيب: كنتُ أمسك بالعملة في يدي كحمامة، وكنتُ والبرد، والكلام المالح، والدخان!

الحكاياتُ تلكَ التي صعدتُ منْ
فؤادِكَ مثلما تصعدُ الكحةُ المالحةُ...

والدخان يؤاخي الهواء،

والعلوم الحديثةُ ما خالفتنا البقاء.

الحكايات تلك: الدخان.

والعلوم الحديثةُ

ممزوجةٌ بدوٍ يُمْسك الوقتَ، لكنها
لا تجيء.

مفردات

نفسها المفردات إذ تمر علينا. لمّا مات الإمام، ولمّا ماتت الرعية. مات الإمام بكفٍّ، ومتنا بأكثر منها. الصديق العدو، والعدو الصديق، والعدو العدو. من يرسم الخارطة ويدخل إلينا عبر ثقوب توارثناها؟

أخرج الآن إني أجيء إليك وعند
البيوت بكاءً طويل.

وعندي احتجاج على كل من
يتناسى مواقيتنا

وعندي نداءً لقلبك...

هل نحن بيت أم البيت نحن؟!

وعندي جراحٌ تجددها الريح،

والجند،

واللحظات التي تبعثُ الارتباك.

نفسها الطعنات إذا سَدَّدت! والغريبُ والغريبُ أتوا. سُدَّت من
مكانٍ مسجّى...

ربي...

لَمْ يسقطْ قلبي بين الفينةِ والأخرى؟

لَمْ يتوزعْ رأسي بين جميعِ الخلقِ؟

لَمْ يهرُبْ مني وطني ودمي؟

لَمْ يبدو الفجرُ ضلّالاً عندي؟

لَمْ تبدو أوردتي مدمنة لدموعي؟

لَمْ يا ربي أغفو حين يريدون ولا أغفو
حين أريد؟

لَمْ يتلبسني الموتُ،

جنوباً؟

لَمْ يا ربي يؤثّقني الحلم بعيداً مني؟

لَمْ لا أذكر ما أخطأني؟

لا تَأْبَهُ لُجْمالُها!

تجلسُ غافلةً وضامَةً يديها: هل سيأتي بخاتم ذهبي وبخيل يمررني إلى بقعة
مأمونة؟ لست بأئف حادة، ولا بعيون مكحلة، ولا بشفاة مدغمة. شعري
لا يشبه الليل، وأصابعي شاردة... ويسقطُ طفل مارٌّ في الشارع أمامها،
تفزع الفتاة، وتنحدر على خدها دمعة!

بدونك هذا الصباح ضلال الغريب...

تجئئين فيه مرئية بالنقوش القديمة

مطوية بحكايا مخبأة في بطون
السنين.

بدونك هذا المساء يمد يديه إلى
أول العابرين.

من بداياتهم

تنكّر العاشقاتُ أسرارهن، فلا أحد يعاينها. والغرباء يتداعون فارغي
الأيدي. سربهم باردٌ، وأصواتهم هاربة من صداها. يدرُّون الجرح فيتسع،
ويصبحُ بمقاس الموت. ثم من نهاياتهم يندبهم الآخرون.

كان يباباً فتحدته الريحُ

وكان سراياً فتحداه الظلُّ

وكان يموءُ، تحداه الصوتُ، تحداه
الموت.

على النصّ

كان البردُ يشي بالفصلِ إليها. تخرجُ كي تبحث عن كوبٍ ساخنٍ يدفع عنها ما تطرقه الذاكرةُ وما يُعاد من الماضي. تمرُّ بقرب الذين يهربون من الشتاء بالدخان. أهملها البعض، وقلَّب البعض أيديهم. وجاء هو ليبرر بحثها عن شيء يذيب الشتاء في قلبها. أجلسها في كرسي مثلاً يفعل الجالسون. تركها ومشروباً ساخناً، وحذاءً جديداً. فأنكفأت:

"كانوا عزائي بهذي البلاد التي لم
تعد ترتوي بالعبور".

وكنْتُ أنا في الشتاء القديم أملكُ
أطرافِ المينات، وأنشر من ريحة
الأهل في كل زاوية من فؤادي.
وكان الغروبُ يكفُّ جسمي
ويرسلني نحو "كبدٍ" أليف. وكنْتُ
أمدُّ ذراعيَّ كي أحتويهم فأكبرُ،
لحظتها، كسماءٍ تغربل حاجات من
أخذوها، وهم يمرقون أمامي صلاة
نُخلِّصني من عيونٍ تجيد اقتناص
الخطايا، تُغلف رجلي الشوارع أنى
ذهبْتُ، تعاتبُ فيَّ الحضور المفاجئ
للرمل والورد والعتبات الصغار.

شجر لا يحدث له ظل

يصلّي

ولا ظل يبدو..

وتطفو إلى قلبه سورة من حديث المدينة

تنمو

كأفكارها في الحروب

كأحزابها في السياسة

تنمو

كأموالها في البنوك.

زمانٌ غريبٌ تلازمنا حربه..

ثمَّ إنَّما إذا جاءت السِّلْمُ نأتى مجازاً على وزنها
وتأتى الخيول لتسقط صفصافة الغيم من غيها

في الكلام

تُغير السيوفُ على لغة الأرض:

ماءٌ على برِّها/

بجرِّها/

جوِّها.

يقول فتى:

(علمتني الحياةُ

إذا الحرب سادت فلا تغمد السيْفُ إمَّا زمانٌ يبيء وإمَّا زمان نكون
خفافاً إذا مات سكَّانه)

ثمَّ إنَّ الفتى، فجأة، دق قلب حبيبته

ذبلت في الحديقة أزهاره

والسحاب انزوى ماؤه

ألفتى لا...يموت.

تماماً كما قال لي:

سأخرج منفرداً «بالهجاءات»

أبدو فأفقد ما كنت أبدو

سأصبح كالبرقالة قبل نضوج المسافة

مثل المسافة قبل نضوج السؤال

ومثل السؤال

تماماً كما لم يقل.

الحربُ وبعْدُ..

إلى «محمد» ذهب ولم تذهب الحربُ.

مشهد (....)

تختلق المعارك سرّها في الحرب،

جندي يحارب... أفقه الموشوم:

صورة "بنّته"

صوتُ ابنه في الحَيِّ

ضحكة زوجته

دعوات والده له بالسترِ

سجدة أمه في الفجر.

.....

.....

يا الله

لا ندري بأي مسافة نمضي؛ لندري.

مشهد (...)

أشتاقُ...

في كنفِ هواءٍ ضيقٍ

زمنين مثل تقادُم المعى

وعلى يدي فرسٍ يحاول أن يقوم...

تغدو العيونُ كنجمَةً

ترتاح من تعبِ المسافةِ

تسترد الموج

ترقبُ ظلَ شاردةٍ

ويغدو الموتُ تمثالاً

ينصّبُه مساءً فارط بالعشق،

يا الله:

خذ بيدي لأعرف آخري في الموت.

مشهد (..)

تأكل الحربُ أقدامَ البيوتِ
تلعقُ دماءَ الجنودِ
ولأنَّ الأمهاتِ أصدقَ حدسٍ وقتها؛
لا تُدفعُ الحربُ بالدعاء !

مشهد(.)

المدائنُ لا تشبه السيد القروي
وأُمِّي التي حُسَّها فائضٌ بالبدَاوةِ
توحي انتباهاتها صوتَ هذا المؤذنِ
تبكي لأنَّ فؤادي ثقيلٌ
وتبكي لصوتِ بعيدٍ بعمرٍ بعيد.

مشهد ()

مالذي يجب عليّ أخبارك به ؟

لم تنته الحربُ بعد

يتناقلها الناس بهدوء...

تحضر مقابلهم

كحكاية ،عادية، أكثر رواجاً.

منذُ آخر مرة منك

اكتشف القادة أن الخطوة السابقة

بلا عينين

لم تكن تصلح إلا

لينطفئ الضوء في الحي

ليخاف الأطفالُ

لتعيش أُمك دون خيارات

ليبحث أخوك عن بلاد مليئة بالغرابة
تليق بعزائه .

مازال ثمة مساءً يحرصُ على التدبير
يلوي عنقَ الحياةِ
يضعُ عصابة على أعين المارة.
ثمة سيّلٌ قادم لرصاصة كاذبة،
لوقتها الذي لا يوشك على نهاية .

صنعاء، يونيو 2008

قلوب ناقصة

متى سنغادر بقلوب كاملة

لا ينقصها شيء

لا دعاء الحبيبة

ولا وجد الأشياء

ولا انتباهة الشوارع .

متى سنأتي بقلوب هادئة

لا يربكها شيء

لا خوف قادم

ولا لحظة واحدة

ولا عبور مرتجف .

متى سنغفو بقلوب آمنة

لا ينتظرها شيء

لا ميعاد مؤجل

ولا وعد بقلق

تنام المدينة بعد قليل

في مثل هذه الساعة..

تمنحك فرصة الوقوف على أبواب أصحابها

لتقتنص منهم حكاياتهم

وتأمن لهم اليوم من أوله :

أنت في الساعة الأولى كنت هناك

والآن أنت ،هنا، أمامي .

”عيونك الطويلة“ تتلصص الأماكن بشره

لا تستطيع منعها من رؤية الواقعة هناك

وعلى كتفها شال أحمر

ورأسها مائل على كتف أحدهم .

في “البلكونة” المقابلة تلمح سيدة عجوز

تستمع للضالين في الليل

تعدُّ أيامها الجميلة بسبحة يدها

وهي ترقب

الفتاة التي تمرُّ وعلى كتفها شال أحمر

ورأسها مائلٌ على كتف حبيبها.

بحرارة تمسك سيجارة مشتعلة في يدك

تتابع بشغف كي تنص على هذا كله:

متى سنغادر بقلوب كاملة

لا ينقصها شيء

لا دعاء الحبيبة

ولا وجد الأشياء

ولا انتباهة الشوارع .

فاتحة لفتاة جديدة

أنا الآن أقرب من أي وقتٍ

وأبعد من ظلِّنا يوم كنَّا

نخبيُّ أحلامنا خائفين.

أنا الآن أكسرُ قاعدة اللُّغو،

وخذني

أكون اشتهاً

يغالب آخر شكٍّ يوارى أحبُّك، أغني:

لهذا خلقتُ !

كل شيء أصبح واضحاً بما يكفي

التاريخ ليعيد نفسه

بدت قصتنا أشبه

بالبحث عن سلام عالمي

أشبه بالحوار بين الحضارات

أشبه بمحقيقة علمية !

هل تذكرين مثلاً :

حين كنّا كمهرجانٍ

حين ترتبنا ثانية لأجلنا

حين شعرنا بالموت

لحظة أن أخطأنا الطريق إلى وجودنا.

ما الذي يجعلنا بعد أن أدركنا ظهورنا

نتذكرُ هكذا

نُقارب وجهات نظرنا

نسَمّي الأشياء بأسمائها

ما الذي يجعلنا متواجدين بكثرة

في علم النفس

في الطب، والتكنولوجيا

في التاريخ في المدن في السياسة.

ما الذي يجعلنا غارقين بأنفسنا بعيداً

عن العالم

وبعيداً حتى عن أنفسنا

ما الذي يجعلنا ونحن معاً نتفق مع أحلامنا، ونؤكد بأن المسافة

أقرب مما كانت عليه يوم التقينا

نعترفُ عبر رسائلِ الموبايل الأخيرة:

”المسافة أقرب كهذه الرسالة“

منذ آخر رحيل

يشير لعودةٍ جديدة

لم نغْبُرْ جيداً إلى أنفسنا

نحتاج لوقت أطول

لنكون محايدين

أكثر من صالات المطارات

والميادين العامة.

منذ آخر حلم

يشير لحقيقة جديدة

لم نغفُ جيداً

نحتاج لموتٍ آخر

بعيدا عن انتباهاتنا المتكررة.

منذ عينيك

لا وقت يهتم لي:

أهذبُ طبعي الزجاجُ

وأبدو كتلويحَةٍ،

وتبدو القرى داخلي مثلها الآن

لا ماء

لا زرع-

لا ما يهددُ طبيعتها

أو يلممُ شعثَ الملامحِ

ليتَ "زمانا" يعودُ

وليتَ "زماناً" يعودُ.

أنا الآن أكثر.

كلارا

التي حدث القلب عنها بشيء من السحر

تاهت ،هنا، باتجاه الفصول.

تخاتل بالوجد ماصنع القابلون بأخبارها

وقد تركت بينهم رجفة لا تزول .

كلارا

تمرين بالقرب مني "ليثاءب" الجرح في

ويخطوني ما عزمْتُ بماء الرحيل .

كلارا

كأنك نافذة أصفهيا

إذا ما تماهت أقوايلهم بالظلام الطويل .

نافذة

أُفتحُ النافذة .

يدخلُ الريحُ ،

ويدخلُ وجهك .

النافذةُ معلنةٌ من جهةٍ واحدة

ومعلنٌ أنا من كلِّ الجهات .

بين فاصلةٍ وفاصلة، أكونُ جملةً معترضة.

بين الحجرِ والحجر، أكونُ عطشاً.

بين الشمس والشمس، أكونُ ظلاماً.

النافذةُ المفتوحةُ:

صوتُ الأشياءِ نفسها

كصوتي حين ألحُ وجهك.

وحين أرثبه بحيانٍ

وحين لا تأتين.

تبكي يدي

فالنافذةُ عادة لا تكون وحيدة.

أَتَذَكَّرُ سَيِّدًا فِي الْحَيِّ
يَعْتَقِدُ أَنَّ الْأَشْجَارَ لَمْ تُخْلَقْ عَلَى الْأَرْضِ.
وَالْفَتَاةُ الَّتِي كُنْتُ أَوَاعِدُهَا عَلَى "الْمَاسْنَجِر"
اسْتَعَاذَتْ مِنْ نَصْفِ الطَّيْنِ

فِي الْقَرْيَةِ
انْتَظَرْتُ امْرَأَةً ظَلَّهَا يَغِيبُ
لِتَوَاعِدَ ظِلًّا آخَرَ.
(وَصَفَّهَا الشَّيْخُ بِالْمَرِيضَةِ
وَتَحَدَّثَتْ نِسَاءَ الْقَرْيَةِ مَعَهَا مِنْ خَلْفِ قُلُوبِهِنَّ)

في المدينة:

يخاف الطالب الجامعي من حجرٍ يلاحقه

كلما دخل المدرج.

يذكره بحجرٍ يصحبه في النوم

حجر: أسودٌ بلونِ الجلدِ

بأكثر من لونٍ .

لظالما ضغط يابهامه أماكن في جمجمته

واستخصر صورةً أبيه المتدين:

يكره الأحجار الملونة

وينادي بالأحجار البيضاء.

عامل البلدية يأتي مساءً بنصف عصا

بنصف أغنية يرددها

وهو يعتني بنفسه .

وهو يهمل نفسه .

وجهك من نافذة "الماسنجر"

ومن لوحة مضاءة أمامي

من صور المرشحين في الانتخابات .

من نافذة البيت

يشبه البلاستيك .

قبل النافذة

رملٌ يتحركُ بي في متجهٍ ينظر مصلحتي.

عند النافذة:

أنتظرُ موعداً مفتعلاً .

بعد النافذة:

أسيلُ

وأفتيحني من جديد :

أغلقُ النافذة، وأرضى بأقلِ الحسائر .

الثالثة

منذ الليلة الأولى يا حبيبي

منذ تلك الليلة

توقفت عن التفكير

في خطوط الطول والعرض

وأصل الإنسان

والشوارع المقابلة للمدن الرشيقه

وكننت أنا

أحذب كنصف ابتسامة

”أميل“ من حظ في السابع والعشرين

م

أبيض كنفسي في كرسي حين أقابلك.

منذ الليلة الثانية يا حبيتي

منذ تلك الليلة

توقفتُ عن مضغ أصابعي

أتحنن مصافحتك

وستعود يدي كما خلقها الله

وحين نضرب موعداً آخر

أعاود مضغها من جديد.

منذ الليلة الثالثة يا حبيتي

منذ تلك الليلة

توقفنا عن التفكير بالخطيئة الأولى

التي أدخلتنا إلى الأرض

وقصة النسيان

التي أهدتنا تفاحة لم نصل إلى نصفها

هناك في الشرفة ملئ

لم نبرأ بعد منه

زر أنفسنا نلبس شجرة يقطين

هناك في الشرفة نحن:

كما نشاء.

في الليلة الرابعة يا حبيبي

في تلك الليلة

تأكدنا أننا في الثالثة:

والثالثة ثابتة.

شجرة سرو

إلى جوارنا عمودُ إنارةٍ

وبعضَ الحشائشِ

تتحدثين..

فيصبح العالم بحجم دائرةٍ صغيرةٍ

تنتابك غصة..

فالذين مروا من جوارنا:

رأوا ظليناً متقاطعين

في المكان...

يتملّل الجمهور

وهم يحتفلون باختياراتهم

ونحن

تحت شجرة سرو

يقف إلى جوارها عمود إنارة

في الجوار بعض الحشائش

ننسكب في بقعة واحدة لنضيء.

اليوم الرابع

ليهدأ الضجيج

أحتاج لسماع صوتك.

ليضيء الظلام

أحتاج لرؤيتك

في اليوم الرابع...

هذا وقت قياسنا لطاقة الحب فينا

أصبح أنا أكثر مجازاً

أسقط لمجرد هواء

أو كلمة عابرة لم تقصديني.

متعب هذا الصباح
لم أراه ناسكاً في حضورك
متعبة هذه الظهيرة
لم تصنعي له الشاي
متعب هذا الليل
لم يُحك له حكايةً قبلَ النوم.

حين أنت هناك
أقرض للقلق قلبي
أفتت ذاكرتي:
لم لا تسأل كيف هو؟
ماهي أحواله؟
هل أكل الغياب قلبه أم مازال مشمراً؟.

الليلة جدي

حزين

ليس لأن الفتاة تريد حين تكذب

وأنا أنقص حين أصدق

ولا لأن صاحب التاكسي بفهم جشع

ولا لأن الرجل الذي يقف عند بابي كحاجب

يعتقد خيبيتي

ولا لأن الشعر يجزني

بينما أود الكتابة عن "بيدوا" * .

ولا لأنني
بيد هالكة
بفؤاد فارغ .

ياه يا جدي
أخاف هذا الوقت
أصبح ظهري أكثر انحناء من ظهرك
أريد أن أصل إلى مرتبتك:
قصير كشهد جميل .

ولا لأنني
بدمع مُسكّر
ولا أحد يمسه عني .
أنفك يشتم الجنة
وأنا أسألك الذهاب

للقاء بائع "الخمير"
ناعم مثلك كل ما تشمه
والجدار الذي ننام تحته سوياً .

ولا لأنني
بماضٍ سقيم
بحاضر مرسل .

أبي صاحب الحديد
يوم ذاك
سأل بجواري
وترك الحزن لي حتى أكبر .

*مدينة في الصومال

مشبوه

الذي أعرفه ، الآن ، أني مثل أغنية حزينة

مثل أرضٍ تموت ليلاً

مثل شجرٍ تدلت شتاءً

مثل وردةٍ ذبلت

مثل أرجوحةٍ ثابتة

مثل واحدةٍ لا يقصدها أحدٌ

مثل أطلالٍ لم ترفع رأسها

مثل ليلةٍ طويلةٍ

مثل قمرٍ ينحني ليلس أصابع قدميه

وحزينٌ مثلي حين لا يشبهني أحد.

الأزرق

يتراكم الأزرق في صدري

يشي بي

يفرّ معي إلى الداخل

في الداخل طفل

يُحدّث ضجيجا

يوتّخ ملابسه

يضحك

يتحدث إلى نفسه

يحبُّ

يكتب على الجدران

يُسقط صورها

يتوقف

يشعر بالملل

يطفئ النور

يبكي

هو:

البالغ تعبين ونيف.

النجوم لم تغادر الناصية

في القلبِ جرحٌ
أصيبَ به يومَ القطارِ غادرِ المدينة خلفَ الجبالِ
قررتُ
أن أرفعَ دعوى عليه؛
لأنه
دائماً ما يأخذ من أحبيهم.

عند الناصية
وجدت نفسي أقطن
شقة بدون روح.

في المرة السابقة
كنت أقطن شقةً
مازال روحها يطاردني
يتبعني
ثم لا أراه.

مرّ على فراقنا بعض الثواني
هاهي الكلاب تعوي
والرياح تحدث صوتاً
والنجوم لم تغادر كرسيتها البعيد
والهلالُ يمشي
لكنه يمشي وحيداً
وأنا بدونه أعبّر الطريق.

أنتِ
بعيدة هناك دون طريق
فلا النجوم تجعلني أهتدي إليك
محاصرٌ كل شيء هناك،
الجنود مدججين بالسلاح
يحاصرون أرضك البعيدة.
والليل ما يزال مكابراً
يرفض أن يأتي الصباح.

الأصدقاء

لم يمروا من هنا..

قبل انتهائي من حضور المأتم الأول

لبستُ بدليتي السوداء .

وحيداً،

والحضور لا أعرف منهم أحد،

وجوههم كانت غريبة.

لكنها يسكنها الحزن

والنجوم تضيء في وجوههم.

الأصدقاء

لم يمروا من هنا..

بعد انتهائي من حضور المأتم الأول.

سوف أبكي..

أنا واثقٌ من ذلك.

قبل أن أراك قلت لنفسي:

(احبس دموعك أيها النهر).

ما لا يدركه الليل

لا

أستطيع التذكر...

أنتِ كنتِ هناك ؟

هأنذا أبحثُ عن قارئٍ آخر

لآخر ما كتبتُ

حتى لا تهرب مني كلمة الليل

والقرية المجاورة

والمدينة التي لا أزال فيها

ومتاهات الغربة

و حبٍ يسكنني حتى اللحظة.

الليلُ لا يخرجُ من عباءتي:

سوادُ

سكونٍ مميّت

بردٍ أحرسُ

وهذيانٌ ألوذ به من سخطه المقلق.

الليل يجمعني بك دائماً

فنجنان لا يمتلئان

موسيقى تختزل الهدوء

وبعض شطار

لم نأكلها حتى الآن.

يوغلُ هذا الليل بنا

يسرقُ منا اللحظة

هنا

وهناك

لم نكن نحن.



محمد الشلفي

- شاعر وصحفي
- مواليد 1981م - إب اليمن
- عمل محررا ثقافيا لصحافة المصدر والنداء (2010-2015م).
- يكتب لصحيفة العربي الجديد الصادرة في لندن.
- عمل مديرا لتحرير مجلة أبواب (2009-2008م).
- له عدد من الكتابات في الشأن الثقافي والاجتماعي في صحف يمنية وعربية.
- كتب عمود أسبوعي في صحيفة الجمهورية بعنوان "مسرح" عام 2010م، و "شعبية" 2012م.
- صدرت له أول مجموعة شعرية بعنوان "كتف مائلة" في العام 2009م.

يصلّي

ولا ظل يبدو..

وتطفو إلى قلبه سورة

من حديث المدينة

تنمو

كأفكارها في الحروب

كأحزابها في السياسة

تنمو

كأموالها في البنوك.

في قصائد مجموعة

(شجر لا ظل لم) تتماهى

كل عناصر الوجود وأحداثه

وأصواته، ليستدرجها

جميعا في نص مشع بالغ

الدهشة، منفتح على عوالم

لا متناهية تعبرها أطياف

الحبيبة والوطن والأحلام

والانكسارات البليغة.

تعكس قصائد

المجموعة، التي توزعت بين

الشكلين التفعيلة والنثر،

تجربة شعرية جديدة

بالتوقف والتأمل، يبرز من

خلالها صوت شعري نقي

وحزين.

الشاعر والناقد العماني

حسن المطروشي

عضو لجنة تحكيم مسابقة أثير الشعرية